تنهر القرآن

الحلقة 1

أول من تحدث بالعربية البينة وكان صادق الوعد

إسماعيل عليه السلام.. ذبيح الله وأبا العرب

هو ابن إبراهيم البكر وولد السيدة هاجر، سار إبراهيم بهاجر – بأمر من الله – حتى وضعها وابنها في موضع مكة وتركهما ومعهما قليل من الماء والتمر ولما نفد الزاد جعلت السيدة هاجر تطوف هنا وهناك حتى هداها الله إلى ماء زمزم ووفد عليها كثير من الناس حتى جاء أمر الله لسيدنا إبراهيم ببناء الكعبة ورفع قواعد البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجر وإبراهيم يبني حتى أتما البناء.

ثم جاء أمر الله بذبح إسماعيل حيث رأى إبراهيم في منامه أنه يذبح ابنه فعرض عليه ذلك فقال «يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين» ففداه الله بذبح عظيم، كان إسماعيل فارسا فهو أول من استأنس الخيل وكان صبورا حليما، يقال إنه أول من تحدث بالعربية البينة وكان صادق الوعد، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، وكان ينادي بعبادة الله ووحدانيته.

سيرته

ذكر الله في كتابه الكريم، ثلاث مشاهد من حياة إسماعيل عليه السلام، كل مشهد عبارة عن محنة واختبار لكل من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، أول هذه المشاهد هو أمر الله سبحانه وتعالى لإبراهيم بترك إسماعيل وأمه في واد مقفر، لا ماء فيه ولا طعام.

الاختبار الأول

فما كان من إبراهيم عليه السلام إلا الاستجابة لهذا الأمر الرباني، وهذا بخلاف ما ورد في الإسرائيليات من أن إبراهيم حمل ابنه وزوجته لوادي مكة لأن سارة –زوجة إبراهيم الأولى– اضطرته لذلك من شدة غيرتها من هاجر، فالمتأمل لسيرة إبراهيم عليه السلام، سيجد أنه لم يكن ليتلقّى أوامره من أحد غير الله.

أنزل زوجته وابنه وتركهما هناك، ترك معهما جرابا فيه بعض الطعام، وقليلا من الماء. ثم استدار وتركهما وسار.أسرعت خلفه زوجته وهي تقول له: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه شيء؟

لم يرد عليها سيدنا إبراهيم وظل يسير، عادت تقول له ما قالته وهو صامت، أخيرا فهمت أنه لا يتصرف هكذا من نفسه، أدركت أن الله أمره بذلك فسألته: هل الله أمرك بهذا؟، فقال إبراهيم عليه السلام: نعم.قالت زوجته المؤمنة العظيمة: لن نضيع ما دام الله معنا وهو الذي أمرك بهذا.

وسار إبراهيم حتى إذا أخفاه جبل عنهما وقف ورفع يديه الكريمتين إلى السماء وراح يدعو الله:رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ من ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37) (إبراهيم).

لم يكن بيت الله قد أعيد بناؤه بعد، لم تكن الكعبة قد بنيت، وكانت هناك حكمة عليا في أمر الله سبحانه لإبراهيم، فقد كان إسماعيل –الطفل الذي تُركَ مع أمه في هذا المكان– ووالده من سيكونان المَسؤولان بناء الكعبة فيما بعد، وكانت حكمة الله تقضي أن يسكن أحد في هذا الوادي، ليبتد إليه العمران.

بعد أن ترك إبراهيم زوجته وابنه الرضيع في الصحراء بأيام نفد الماء وانتهى الطعام، وجف لبن الأم.. وأحست هاجر وإسماعيل بالعطش.

بدأ إسماعيل يبكي من العطش، فتركته أمه وانطلقت تبحث عن ماء، راحت تمشي مسرعة حتى وصلت إلى جبل اسمه «الصفا»، فصعدت إليه وراحت تبحث به عن بئر أو إنسان أو قافلة، لم يكن هناك شيء.

ونزلت مسرعة من الصفا حتى إذا وصلت إلى الوادي راحت تسعى سعي الإنسان المجهد حتى جاوزت الوادي ووصلت إلى جبل «المروة»، فصعدت إليه ونظرت لترى أحدا لكنها لم تر أحدا، وعادت الأم إلى طفلها فوجدته يبكي وقد اشتد عطشه، وأسرعت إلى الصفا فوقفت عليه، وهرولت إلى المروة فنظرت من فوقه.. وراحت تذهب وتجيء سبع مرات بين الجبلين الصغيرين، سبع مرات وهي تذهب وتعود – ولهذا يذهب الحجاج سبع مرات ويعودون بين الصفا والمروة إحياء لذكريات أمهم الأولى ونبيهم العظيم إسماعيل. عادت هاجر بعد المرة السابعة وهي مجهدة متعبة تلهث، وجلست بجوار ابنها الذي كان صوته قد بح من البكاء والعطش.

وفي هذه اللحظة اليائسة أدركتها رحمة الله، وضرب إسماعيل بقدمه الأرض وهو يبكي فانفجرت تحت قدمه بئر زمزم.. وفار الماء من البئر، أنقذت حياتا الطفل والأم، راحت الأم تغرف بيدها وهي تشكر الله،وشربت وسقت طفلها وبدأت الحياة تدب في المنطقة،صدق ظنها حين قالت: لن نضيع ما دام الله معنا.

وبدأت بعض القوافل تستقر في المنطقة، وجذب الماء الذي انفجر من بئر زمزم عديدا من الناس.. وبدأ العمران يبسط أجنحته على المكان.

الاختبار الثاني

كبر إسماعيل وتعلق به قلب إبراهيم، جاءه العقب على كبر فأحبه، وابتلى الله تعالى إبراهيم بلاء عظيما بسبب هذا الحب، فقد رأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح ابنه الوحيد إسماعيل، وإبراهيم يعمل أن رؤيا الأنبياء وحي.

فكر إبراهيم في ولده، وذهب إلى ولده (قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى)، انظر إليّ تلطفَ في إبلاغ ولده، وترك الأمر لينظر فيه الابن بالطاعة، إن الأمر مقضي في نظر إبراهيم لأنه وحي من ربه،أجاب إسماعيل: هذا أمر يا أبي فبادر بتنفيذه (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ).

ينقلنا الحق نقلة خاطفة فإذا إسماعيل راقد على الأرض، وجهه في الأرض رحمة به كيلا يرى نفسه وهو يذبح. وإذا إبراهيم يرفع يده بالسكين، وإذا أمر الله مطاع. (فَلَمَّا أَسْلَمَا) استخدم القرآن هذا التعبير، (فَلَمَّا أَسْلَمَا) هذا هو الإسلام الحقيقي، تعطي كل شيء، فلا يتبقى منك شيء.

عندئذ فقط، وفي اللحظة التي كان السكين فيها يتهيأ لإمضاء أمره،نادى الله إبراهيم، انتهى اختباره، وفدى الله إسماعيل بذبح عظيم – وصار اليوم عيدا لقوم لم يولدوا بعد، هم المسلمون، صارت هذه اللحظات عيدا للمسلمين، عيدا يذكرهم بمعنى الإسلام الحقيقي الذي كان عليه إبراهيم وإسماعيل.

زوجة إسماعيل

عاش إسماعيل في شبه الجزيرة العربية ما شاء الله له أن يعيش، روض الخيل واستأنسها واستخدمها، وساعدت مياه زمزم على سكنى المنطقة وتعميرها. استقرت بها بعض القوافل،وسكنتها القبائل، وكبر إسماعيل وتزوج، وزاره إبراهيم فلم يجده في بيته ووجد امرأته، سألها عن عيشهم وحالهم، فشكت إليه من الضيق والشدة.

قال لها إبراهيم: إذا جاء زوجك مريه أن يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل، ووصفت له زوجته الرجل، قال: هذا أبي وهو يأمرني بفراقك.. الحقي بأهلك.وتزوج إسماعيل امرأة ثانية، زارها إبراهيم، يسألها عن حالها، فحدثته أنهم في نعمة وخير، وطاب صدر إبراهيم بهذه الزوجة لابنه.

الاختبار الثالث

وها نحن الآن أمام الاختبار الثالث، اختبار لا يمس إبراهيم وإسماعيل فقط، بل يمس ملايين البشر من بعدهم إلى يوم القيامة، إنها مهمة أوكلها الله تعالى لهذين النبيين الكريمين، مهمة بناء بيت الله تعالى في الأرض.

كبر إسماعيل، وبلغ أشده، وجاءه إبراهيم وقال له: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر، قال إسماعيل: فاصنع ما أمرك به ربك، قال إبراهيم: وتعينني؟ قال: وأعينك. فقال إبراهيم: فإن الله أمرني أن ابني هنا بيتا، أشار بيده لصحن منخفض هناك.

بناء بيت الله الحرام

صدر الأمر ببناء بيت الله الحرام، هو أول بيت وضع للناس في الأرض، وهو أول بيت عبد فيه الإنسان ربه، ولما كان آدم هو أول إنسان هبط إلى الأرض، فإليه يرجع فضل بنائه أول مرة، قال العلماء: إن آدم بناه وراح يطوف حوله مثلما يطوف الملائكة حول عرش الله تعالى.

بنى آدم خيمة يعبد فيها الله، شيء طبيعي أن يبني آدم –بوصفه نبيا– بيتا لعبادة ربه، وحفت الرحمة بهذا المكان، ثم مات آدم ومرت القرون، وطال عليه العهد فضاع أثر البيت وخفي مكانه، وها هو ذا إبراهيم يتلقى الأمر ببنائه مرة ثانية، ليظل في المرة الثانية قائما إلى يوم القيامة إن شاء الله، وبدأ بناء الكعبة.

أي جهد شاق بذله النبيان الكريمان وحدهما؟ كان عليهما حفر الأساس لعمق غائر في الأرض، وكان عليهما قطع الحجارة من الجبال البعيدة والقريبة، ونقلها بعد ذلك، وتسويتها، وبناؤها وتعليتها، وكان الأمر يستوجب جهد جيل من الرجال، ولكنهما بنياها معا.

لم يحدثنا الله عن زمن بناء الكعبة.. حدثنا عن أمر أخطر وأجدى، حدثنا عن تجرد نفسية من كان يبنيها.. ودعائه وهو يبنيها:وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوَ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129) (البقرة).

انتهى بناء البيت، وأراد إبراهيم حجرا مميزا، يكون علامة خاصة يبدأ منها الطواف حول الكعبة، أمر إبراهيم إسماعيل أن يأتيه بحجر مميز يختلف عن لون حجارة الكعبة. سار إسماعيل ملبيا أمر والده، حين عاد، كان إبراهيم قد وضع الحجر الأسود في مكانه،فسأله إسماعيل: من الذي أحضره إليك يا أبت؟ فأجاب إبراهيم: أحضره جبريل عليه السلام.

انتهى بناء الكعبة، وبدأ طواف الموحدين والمسلمين حولها، ووقف إبراهيم يدعو ربه نفس دعائه من قبل، أن يجعل أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إلى المكان، انظر إلى التعبير، إن الهوى يصور انحدارا لا يقاوم نحو شيء، وقمة ذلك هوى الكعبة. من هذه الدعوة ولد الهوى العميق في نفوس المسلمين، رغبة في زيارة البيت الحرام. وصار كل من يزور المسجد الحرام ويعود إلى بلده، يحس أنه يزداد عطشا كلما ازداد ريا منه، ويعمق حنينه إليه كلما بعد منه، وتجيء أوقات الحج في كل عام، فينشب الهوى الغامض أظافره في القلب نزوعا إلى رؤية البيت، وعطشا إلى بئر زمزم.

قال تعالى حين جادل المجادلون في إبراهيم وإسماعيل، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) (آل عمران) عليه الصلاة والسلام، استجاب الله دعاءه، وكان إبراهيم أول من سمانا المسلمين.

أناشيد رمضان.. رسائل دينية وإنسانية من الخليج إلى العالم الإسلامي

«رمضان تجلى وابتسما.. طوبى للعبد إذا اغتنما»، مقطع من أنشودة تراثية شهيرة جداً، تنتشر في بلاد الشام خصوصاً والمنطقة العربية عموماً، على ألسنة المنشدين الذين يعلنون حلول شهر رمضان المبارك.

ويحمل الموسم الرمضاني سنوياً ازدحاماً واسعاً بالبرامج واللقاءات والإصدارات والمسابقات مع بدء شهر الصيام.

ويرتبط الإنشاد الإسلامي أو ما يُعرف بالغناء الملتزم، برمضان بشكل خاص، وإن وُجد في عموم أشهر السَّنة؛ لما له من رمزية تعبدية عبر ذكر الله ومدح رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم)، والمرور على القيم والأخلاقيات الإسلامية.

ويفضل كثير من المنشدين أو المادحين طرح أعمالهم الفنية الجديدة مع حلول شهر رمضان المبارك، حيث يتناقلها المسلمون في أنحاء العالم على وسائل التواصل الاجتماعي، خصوصاً منذ تفشي فيروس كورونا الذي حال دون وجودهم في الإفطارات الجماعية لإنشادها مباشرة.

من الخليج للعالم الإسلامي

وفي السنوات الأخيرة، بات الإنشاد منتشراً بشكل أكبر في دول الخليج العربية، خصوصاً أنه فن يحاكي تعبُّد المسلمين في شهر رمضان، ويحث على فعل الخير والذكر وما إلى ذلك.

فقد أطلق المنشد والقارئ الكويتي الشهير مشاري بن راشد العفاسي، أنشودته الجديدة بمناسبة حلول رمضان، حاملةً عنوان «مصطفى مصطفى» والتي تتحدث عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

وظهر العفاسي من داخل حجره المنزلي وهو يؤدي الأنشودة بمشاركة ولده محمد، في ظل التدابير الاحترازية التي تفرضها الحكومة الكويتية على السكان للحد من تفشي فيروس كورونا.

أنشودة العفاسي

لاقت أنشودة العفاسي انتشاراً واسعاً، وإعجاباً على وسائل التواصل الاجتماعي، حيث علق أحدهم بتغريدة على موقع «تويتر»، قائلاً: «صوتك يا شيخ مشاري يسعد القلب ويشرح الصدر، حفظك الله أنت وابنك من كل سوء، ونفع الله بكم البلاد والعباد».

أنشودة أخرى، انتشرت بشكل كبير على وسائل التواصل الاجتماعي، ناشرةً البهجة وسط تفشي «كورونا»، لشباب سعوديين غير مشهورين، إلا أنهم يرتدون الثياب الحجازية.

وبدأت الأنشودة بعبارة «هيروح كورونا وييجي رمضان، تجمعنا سفرة باطمئنان، تفتح مساجدنا ونتلو فيها قرآن، هيروح كورونا ويجي رمضان.. يا رب». وقد انتشر المقطع احتفالاً باقتراب رمضان قبل أسبوع ونيف، خصوصاً أن رمضان هذا العام تغيب فيه معالم الاحتفالات السنوية، والمساجد مغلقة للحد من تفشي الفيروس.»إذا فرقتنا الكورونا، فرمضان يجمعنا»، كانت هذه الكلمات الجملة الختامية لأفراد الأنشودة.

أنشودة سعودية

ومن جانب آخر، لاقت أنشودة «شركة زين» السعودية للاتصالات ترحيباً واسعاً على وسائل التواصل الاجتماعي، والتي حملت عنوان «لا ينسانا الله»، ملامسةً الواقع بحديثها عن تفشي فيروس كورَونا المستجد.

وأثنى رواد مواقع التواصل على الإعلان السنوي لشركة «زين» والذي تبثه في اليوم الأول من شهر رمضان، معتبرين أنه يحمل رسالة إنسانية، حيث ركّز على معاناة العاملين في المجال الطبي، وغيره من القطاعات، حاصداً ملايين المشاهدات.

وسنوياً تبث الشركة إعلاناً رمضانياً يحمل في ثناياه رسالة وأنشودة على لسان منشد أو طفل يؤديها، إلا أن بعضها نال انتقاداً واسعاً في السنوات الماضية.

مسابقات إنشادية

ولا يقتصر الإنشاد على طرح نجوم الإنشاد بمنطقة الخليج العربي الألبومات والأعمال الفنية، بل ينال أحياناً دعماً حكومياً أو من مؤسسات وشركات محلية لمنشدين مغمورين، واستخدامه كوسيلة للحث على البقاء في المنازل مؤخراً مع تفشي «كورونا».

فقد قررت وزارة الفنون العُمانية إجراء فعاليات المسابقة الإنشادية لشهر رمضان عن بُعد، وذلك للحد من انتشار فيروس كورونا.

وقال عبد العزيز بن ناصر البلوشي، مدير دائرة الموسيقى والفنون الشعبية بالوزارة، إن مسابقة الإنشاد ستقام هذه السنة من البيت وعلى وسائل التواصل الإلكتروني.

وقال أن الوزارة تشترط في العمل الإنشادي أن يكون جديداً ولم يسبق المشاركة به في أي مسابقة أو محفل، وأن يكون النص من الشعر العربي الفصيح.

وتهدف المسابقة إلى استغلال أوقات الفراغ لدى أفراد المجتمع والمهتمين بمجال الإنشاد خلال أيام الشهر، وذلك في إطار اهتمام الوزارة بقطاعات الفنون المختلفة.

منشد الشارقة

كما تبرز في منطقة الخليج مسابقة «منشد الشارقة»، التي تحظى بمتابعة كبيرة في العالَمين العربي والإسلامي، حيث تنال دعماً من إمارة الشارقة وتغطية رسمية من التلفزيون الحكومي بالإمارة.

وإن كانت المسابقة خارج الموسم الرمضاني، فإن المنشدين الفائزين أو المشاركين فيها يتم استقبالهم في مقابلات وبرامج بشهر رمضان حاملين لقب «منشد الشارقة»، حيث يؤدون بعض الأناشيد والموشحات الدينية.

وهذا ما حصل مع الحائز اللقب في الموسم الأخير (13 ديسمبر 2019) المنشد المصري محمد طارق، الذي أطلَّ في برنامج «معكم منى الشاذلي» مع بداية شهر رمضان، متحدثاً عن المسابقة ومؤدياً عديداً من المدائح والأناشيد والأذكار.

وسنوياً تعقد الإمارة مسابقة «منشد الشارقة»، مستضيفةً منشدين ذوي أصوات ندية من عدة دول عربية، ويخضعون لتقييم من لجنة التحكيم، بالإضافة إلى تصويت الجمهور؛ حتى يتم الإعلان عن الفائزين بالمراكز الثلاثة الأولى في حفل ختامي، بحضور جماهيري واسع.

فتاوى

هل يؤثر عدم «تبييت النية» على صحة الصيام؟

أوضحت لجنة الفتوى بمجمع البحوث الإسلامية، خلال فتوى، نشرتها على صفحتها الرسمية بموقع «فيسبوك»، أنه لابد من تبييت النية في صيام شهر رمضان.

وأفادت بأنه لا يصح صيام من لم يبيت النية، لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «من لم يُجمع الصيام قبل الفجر فلا صوم لهَ»، مشيرة إلى أنه لكي يصح الصوم على المسلم أن يبيت النية في كل ليلة أو نية واحدة تكفي عن رمضان كله.